وجرها من شعر رأسها وضربها ضرباً موجعاً ؛ ولم ينزع الكف الحديدية التي كان لابسها في يده فلطمها بها لطمةً شديدة سحقت ثلاثاً من اسنانها »

قلت : « قد كان هذا في القرن الثامن ونحن اليوم في القرن العشرين في عصر النور »

اجابني المدرس : « اجل وهل ينبثق النور الا من التهذيب؟ فيا ليت التهذيب يعم بلادنا واريافنا فتصلح احوال نسائنا ورجالنا واولادنا اجمعين ... اننا لانزال نصيح بهذا وننادي »

فقلت له : « الصياح والنداء لا يجديانكم النفع المطلوب ؛ فلا تعتمدوا على غيركم في قضاء هذا الامر الحيوي « فما حك جلدكم كظفركم » : فاجمعوا كلمتكم واسخوا بمالكم ، وجدوا في قضيتكم فتنالوا بغيتكم »

يهتمون بالحية

ذكرت مجلة الطبيعية الاميريكية ما موداه :

الفارة الواحدة تقدر ان تضر ١٠ شجرات في السنة باتلافها اصولها وحبها

اما الحية الواحدة فانها تبتلع من نيسان الى تشرين الاول مقدار ١٤٤ فارة اي انها تنقذ ١٤٤٠ شجرة مع بزرها. لهذا السبب لايجوز التجاوز على الحيات وقتل كل ما صودف منها في الحقول سامة كانت او غير سامة .ومن الصعب اقناع جميع الناس بهذا الخصوص فكلما ذكر اسم الحية عنت لهم حادثتها مع سيدتنا حواء

ليلى الاخيلية

(تتمه)

٤ً : عفاف ليلى

بينما كان الحبيبان القديمان مجتمعين ذات يوم ، يتجاذبان اطراف الحديث يذكران ايام الصباء ، ايام تبادل الحب الطاهر والماضي ذكرى تحببه ، اذ بدا من توبة الحميري كلمة ظنت ليلى انه قد خضع فيها لبعض الريبة فبادرته ببيتين بليغين :

وذي حاجةٍ قلنا له لاتبح بها فليس اليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لأخرى صاحب وخليل

حيا الله العفة المثلى ، وحيا الحب النقي ، وحيا الوفاء والاباء. هذان بيتان من عيون الشعر يمثلان صورة مجسمة للطهر ووثوق الذمة. خلدت ذكرك ياليلى بهذين البيتين الصادرين من قلب عرف الحب وعرف حقوق الزوج : اعطيت درساً من دروس الحب العذري لبنات جنسك وكأني بابن الفارض قد عناك اذ قال :

كم بات طوع يدي والوصل يجمعنا في بردتيه النقى لانعرف الدنسا

وقع جواب ليلى على توبة وقوع صاعقة من التبكيت والتوبيخ ولم يقدم على ملاقاتها بعد ذلك التقريع فبعث رجلاً الى حاضرها وعلمه ان يقول :

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة من الدهر لا يسري الي خيالها

فاجابته جواباً يشف عن كرم اخلاقها :

وعنه عفا ربي واحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها

ما احيلى العفو بعد الغضب ! حياة شاعرتنا صحيفة بيضاء. وقلبها معدن الخصال الكريمة . تأتينا في كل موقف بينات ناصعة على سمو نفسها . نراها تارةً تتفانى في طاعة والدها وطوراً تراعي ذمام حبيب صباها ومرةً تغضب عليه لأنه يحاول ان يمس شرفها فتذكره بواجبهم وفي الذكرى عبرة. ولما ارعوى وجاء اليها مستغفراً طلبت له العفو من رب الكرم والجود . وصفحت عن ذنبه شأن ارباب الاخلاق السامية ورباتها .

٥ً : غيرة زوجها الهوجاء

كاني بالدهر قد عادى ليلى فما كادت تخلص من ربقة ابيها واستبداده حتى بليت بزوجها وكان غيوراً يعزب بها عن الناس فلا يحل بها معهم وما يقربها احد ولا يضيفها لأنها كانت حسناء لا بل من احسن الناس وجهاً .

لو انبأنا التاريخ سبباً لغيرة ابن الادلع على امرأته غير سبب حسنها لعفونا عنه وانصفناه . ولكن غيرته في هذا الباب غيرة هوجاء والدافع اليها حطة في الاخلاق وعوج في التربية . فمتى كان حسن الوجه مظنة

سوء في المرأة ولا سيما اذ كانت آدابها قويمة وقلبها يترفع عن مواطن الخسة ويعلو عن منابت الدنايا . سامحك الله يا ابن الادلع عما بدا منك نحو ليلاك العفيفة .

٦ً : مشهد مؤلم

لم يكتف صاحبنا بسحق قلب ليلى بوطأة جوره وتقييد حريتها المشروعة في سنن العرب ، . اذ انكر عليها قبول الضيوف ؛ بل انه يرينا الآن مشهداً من مشاهد الحياة الشرقية الظالمة تنبو منه المناظر وتنفر منه الابصار وتمجه الاذواق السليمة فانه يضرب ضرباً مبرحاً شريكة حياته لان ضيفاً من بني الصحمة نزل عليهما حين غابت الشمس ولما سألها عنه صدقته الخبر فلم يركن الى ماقالت بل زعم انه بعض خلانها ونهض يضربها .

بئس العمل عملك يا ابن الادلع ! وشلت كل يد اثيمة تتجاوز على امرأة طاهرة الذيل ؛ واندثر كل رجل جافي الطبع حذا حذوك . ولكنك لست اول رجل اجترح هذه الموبقة ولا آخر ظالم اتى هذه المنكرة ، بل تلك من الوقائع اليومية التي نسمعها في عالمنا الشرقي وان لم نرها الا مرة واحدة ولا زلنا نكرر قولنا شلت يمناك الاثيمة ايها السفيل

لو كنت يا ليلى الاخيلية مشترعاً لسننت قانوناً شديداً يؤدب كل رجل يعتدي على امرأته . لو جلست على منصة الحكم واتتني امرأة شاكية رجلاً ضربها لنفذت فيه منتهى القانون ؛ غير اني اعلم ان هذه الشدة لا تروق النساء انفسهن اللواتي اريد انصافهن والانتصار لهن وخير كلام اسمعه منهن « يا عبدالله مالك ولنا نح عنا نفسك » اليس ذلك كلامك ياليلى لما اراد الضيف الصحمي ان يغيثك وينقذك من ضرب زوجك ؟ اليست بنات الشرق يحملن جور ازواجهن واخوانهن ولا يردن ان ينصفهن حاكم ائلا يطلع على امرهن غريب ، صيانة لحرمة الحليل والبيت ؟

٧ : بعد فقدان الحبيب

اكبرت وفاء ليلى بعد موت توبة . ويظهر كبر النفوس بعد فقدان الاحبة . وتشع العقول انواراً من الذكاء ، فتخرق دجى الاحزان وغياهب النوى . مات توبة وبقي حبه حياً في قلب شاعرتنا . وذكره قائماً في دماغ غادتنا . هبط عليها الشعر من سماء الخيال هبوط الوحي على الانبياء من سماء المتعال . ورثته بقصائد نسجت من مختارات الاقوال . تدل على ماكانت ترغب فيه من الصفات وحميد الخصال ومما قالت في رثائه :

فأقسمت ارثي بعد توبة هالكاً ... وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ماباالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه في الحياة المعاير
وما احد حي وان عاش سالماً ... باخلد ممن غيبته المقابر

واعجبني من شعرها اذ ناضلت عن توبة جواباً لمعاوية اذ قال لها ويحك يزعم الناس انه كان عاهراً خارباً فانشدت :

معاذ الهي كان والله سيداً ... جواداً على العلات جماً نوافله
اغر خفاجياً يرى البخل سبةً ... تحلب كفاه الندى وانامله
عفيفاً بعيد الهم صلباً قناته ... جميلاً محياه قليلاً غوائله

٨ : على قبر الحبيب

شغفت بوفاء ليلى بعد اربعة عشر قرناً ! وحسنت لدي شجاعتها الادبية التي اظهرتها لما مرت على قبر توبة وزوجها معها . فارادت ان تسلم على رفات الحبيب الراقد فمنعها حليلها ولم يجد منعه فتيلا . لأن سائقها المحبة والمحبة قوية كالموت . فتركها وشأنها . وقفت ليلى على ذلك الجدث وقالت « السلام عليك ياتوبة » . لله من هذا السلام . ولله من قلبك الرقيق يابنت البادية ! وهل تقف الغربية اليوم خير من هذا الموقف على قبر حبيبها . الا انه لو كان زوج الغربية معها لنسي الضغائن والاحقاد امام تلك الجثة الهامدة ولرفع قبعته وحيا الراقد في تلك الحفرة المدلهمة . اذ يد الموت تمحي كل ماسلف . والله

يصفح عما مضى .

نسمع الآن ليلى تتبرم من سكون حبيبها اذ لم تبدر منه بادرة تؤيد ما كان ينشده لها في حياته :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقى اليها صدى من جانب القبر صائح
واغبط من ليلى بما لا اناله الا كل ماقرت به العين صالح

لم تقل الى القوم ان توبة كذب عليها في هذا الشعر وما باله لم يسلم عليها كما قال . حتى طارت من جانب القبر بومة في وجه الجمل فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت الى جنبه .

هكذا انتهت المأساة التاريخية . ورقدت ليلى الى جانب حبيبها الى الابد . هناك بقيت الجثتان الهامدتان وروحاهما ترفان خالدتين في الفضاء الاعلى والمقام الارفع حيث الحب الدائم . والخلود السرمدي . حيث تستقر النفوس بعد فراقها من الاجساد . وتعطي حساباً عما بدا منها .

بغداد يوسف غنيمة

الشعر والعقل

الشعر ، بصوته المطرب الموقع على رنات الاوتار السحرية ، يجب ان يهدهد العقل ويناغيه ، لا ان ينومه

لان الشعر كثيراً ما يملأ العقل خيالات تائهة ، فيشحن القلب اماني فارغة

وتلك الخيالات ، وتلك الاماني خطرة ، وخطرها عظيم لانها في حين واحد تفتن الروح وتسكرها

ثم ترجع الروح من عالم الاحلام الذهبية ، واذا ، امامها حقائق الحياة المرة !

الشعر حبيب مخوف ، ينزع القلب من الصدر ويخطفه ، ويتسلط على النفس بجواذبه ، وتهييجاته المرعبة ؛ ويا ويح الذين ينقادون ، بلا تبصر ، لمعانقاته فتلفحهم انفاسه المحرقة !

نداء الشعر ، ينفذ في اعماق القلوب ويثير فيها ما يسوق الى اعمال جنونية او الى فعال بطلية . ورب شعر انشأ ثورات وحروباً قلبت البلاد ، وبدلت احوال العباد

الشعر ساحر ماهر يغر العيون ؛ واذا شاء ، اراك السمكة حية والخشبة سيفاً والماء دماً